الآداب والفضيلة سنة ١٨٥٩ اي في مدة رئاسة الاخت لوسيا تقلا جبارة الفاضلة التي اعتنت ببناء محل لائق لذلك شمالي الدير وفي المدرسة تعلم الفتيات العربية والافرنسية بفروعهما والجغرافية والحساب والاشغال اليدوية كالخياطة وما يدور عليها من الرتق والتطريز والزركشة مع فن الموسيقى (البيانو). وتحسن نظام هذه المدرسة منذ كانت في الدير المذكور بعض الراهبات الافرنسيات المنضمات الى قانون واحد وكن اربعاً اثنتان وهما الاختان ماريا هياسنة دي روزيه (S^r Marie Hyacinthe de Rosier) وماريا منوال ڤيال (S^r Marie Emmanuelle Vial) اتتا الدير من ليون سنة ١٨٦٩ صحبة الاخت مريم مرغريتا باخوس التي كانت ذهبت الى فرنسة مع ثلث من اخواتها الراهبات سنة ١٨٦٥ واثنتان اخريان اتتا من دير ليون ايضاً سنة ١٨٧١ وهما الاختان ماري ترازيا دي شنطال شاليو (S^r Marie Thérèse de Chantal Chalumeau) وماري اغناطيوس بورجوا (S^r Marie Ignace Bourgeois) وبعد هؤلاء الاربع اتت راهبة اخرى من تاليار واسمها لويزة بلاندين برتران سان مارتان (S^r Louise Blandine Bertrand S^t Martin) وبعد ان مكثن مدة بين اخواتهن السوريات رجعن الى اديوتهن في فرنسة حسب قانون هذه الرهبانية وكان عدد الطالبات وقتئذٍ من عشرين الى خمسة وعشرين الا انهُ في الآونة المتأخرة أربى عددهن على الستين ابنة ذلك بهمة الخوري يوسف الياس صغير الذي يدبر شؤونها بغيرة ونشاط وبعناية الرئيسة الحالية والراهبات الفاضلات قدرهن الله الى ما به يجدهُ وخير التريب وقد اشتهرت بنات هذه المدرسة بعذوبة روحهن وحسن تهذيبهن وترتيب بيوتهن

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

غير انَّ راحيل تذكرت نصائح الاب يوحنا فلزمت السكوت. وبينما المنزل يغني والدولاب يدور وقت رواية اختها لهذه الفجائع تصورت ان زوجها زيناً يشبه رجلاً ميتاً

وان دموعها لا بُدَّ ان تتساقط ايضاً لمدَّة طويلة على صدرهِ البارد حتى تهتدي نفسهُ الى طريقها وتعود اليها لتعزيتها

فلمَّا فرغت حنَّة من كلامها التفت زين الى راحيل فرآها ترتعش فظن ان ذلك ناتج عن الخبر الفاجع الذي سمعتهُ غير ان تلك القرينة المنكودة تركتهُ على ظنهِ المذكور كاتمةً عليهِ محبتها

ومذ ذاك اخذت تسير سيرة جديدة فكانت حنَّة تتبرَّج بثيَّة بسيطة باجمل الحلل غير ان راحيل كانت تتخذ اسذج الملابس عادلةً عن منافسة شقيقتها

ومع كونها سيدة المنزل لم تكن تتردَّد في كل فرصة عن ان تتنازل لشقيقتها بل لحصيتها عن المحل الاول راغبةً ان تكون هي في كل شيء نسياً منسياً ولهذا كانت عند ما ترى زيناً وحنة يتمشيان في فناء القصر متحدثين تمتنع عن الاختلاط بهما او ان تأتي بطفلها الصغير كما كانت عادتها من قبل حتى تنبِّه قرينها بحضورها إلى اعراضهِ عن واجباتهِ المفروضة بصفة كونهِ والداً وزوجاً

وفي كثير من الاوقات كانت تقيم أياماً في غرفتها دون ان تخرج منها مع انها كانت قبلاً تنساب كالظل في غرف القصر وتنتبه لكل حركة واشارة من زين لتسرع الى تلبيتها غير ان زيناً كان مشغولاً عنها بما انغرس في قلبهِ من الميل الى شقيقتها. وكما ان الهواء المحيط الذي نحن غائصون فيهِ يأذن لنا في الحياة دون ان نشاهده وكما ان الملائكة المكلفين من قبل المولى بحراستنا والسهر علينا لا يظهرون لنا وجودهم هكذا راحيل المنكودة ما زالت تعيش بكليتها لقرينها عاطفةً عليهِ بمحبتها غير انها كانت هذه المرَّة تحرص كل الحرص على كتمها بقدر حرصها قبلاً على افشائها

ومن ذاك الوقت لازمت القيام بواجباتها المزدوجة بصفة قرينة ووالدة وهي صابرة صبر المسيحيَّة الحقيقيَّة على نكدها مشيرةً بذلك الى قبولها عن طيبة نفس بعدم مبالاة زوجها. ولم يكن زين ولا حنة يعرفان اي شيء يختفي تحت ذاك المظهر الهادئ من الروابع والقلاقل الباطنة

واما حنة فما فتئت على حالها الماضية مع زين غير عالمة بما تسبَّب لشقيقتها من النكد الباطن ولا ريب انها لو عرفت شيئاً من ذلك لآثرت ان تبتعد عن قصر البترون ابتعاداً ابدياً

وعليه فلم يكن احد مطلعاً على داخلية راحيل سوى راحيل وحدها غير انها عملاً بنصائح الاب يوحنا حافظت على كتم محبتها ولو اورثها ذلك اشد الحزن واغزر الدموع

٥

من يستطيع ان يصف المعارك الباطنية التي خاضت غمارها هذه القريبة المحبة لبعلها والمحافظة على تمام الامانة لهُ ولم يشهدها غير الله تعالى وملائكته ! . . . دامت هذه المعارك أياماً بل اسابيع تخيلتها راحيل المنكودة ادهاراً طويلة . غير ان ما طُبعت عليه من الرصانة وعزة النفس كان يحملها على كتم ذلك كله وعدم افشاء شيء منهُ

ولكنها في ذات يوم اشتدت عليها وطأة الحزن فبكت وانتحبت ووقعت على الارض من اليأس والجزع وكانت تتوهم أنهُ ليس من خليقة بشرية تقوى على احتمال ما احتملتهُ هي مدة طويلة من التنغيص والمرارة . فلما خفف الدمع مرقتاً حدة بلواها انتصبت قائمة وجلست عند الشباك تنظر الى الشمس الشارقة التي كانت ترسل اشعة ظافرة على الارض المتلألئة نوراً . وكانت قد بكت كثيراً فلم تقوَ الشمس على ان تؤثر في عينيها اللتين اضعفتهما غزارة الدمع

وكان ذلك في الصباح ولا شيء اشهى واحسن من منظر لبنان في الساعات الاولى من النهار لان الظلال تكون في مثل هذا الوقت منبثة على طول سفوح الجبال بينما تكون القمم والروابي قد تعممت باكليل من الاشعة الذهبية التي ترسلها الشمس الشارقة وأبخرة الفضاء شفافة ترى العين من ورائها قمم الجبال البعيدة فما احسنهُ منظراً جمع بين اللطافة والعظمة . كيفما التفتت الباصرة تشاهد هنا غياضاً ملتفة وهناك اشجاراً متفرقة تختلف ألوانها بين اخضر ناضر واسمر قاتم . ومما يزيد المشهد جمالاً وجود القرى العديدة معلقة في سفوح الجبال الشاهقة . أجل انَّ في الدنيا جبالاً تعلو لبنان ارتفاعاً غير انهُ ليس فيها ما يكون لمجموعهِ مثل هذا المنظر البهيج عند شروق الغزالة

وكان اذ ذاك قد دخل فصل الصيف وتفرق الحصادون في السهول يحصدون ما تعبوا في زرعهِ من الحنطة وغيرها من انواع الحبوب . وكانوا ينشدون الاغاني ويترنمون بها فرحين طربين فلما سمعتهم راحيل هتفت من اعماق قلبها قائلة :

« سعداً لهم ما احسن حالهم فانهم تحت حرارة الشمس المحرقة يترنمون بالاغاني

ويهيئون القوت لاشقياء الحظ . ومع ما هم عليه من العناء وما يتصبب من ابدانهم من العرق هم يسعدون ولا صوت غير صوتي وحدهُ يعكر صفاء السعادة »

ثم انها انقطعت عن الكلام هنيهةً لانَّ الطبيعة قد ضنَّت فرحها وابتهاجها الى حبور الحصَّادين وسرورهم فكانت الاشجار والادغال والسهول متشربة باجمل انوارها والاطيار تتناغى العالم الحلَّاق بتغاريدها وراحيل تسمع ذلك باصغاء ومزيد انتباه وكانت قد كفَّت عن ذرف الدموع وداخلها شيء من السرور فسالت على شفتيها الذابلتين ابتسامة لطيفة مختلطة ببقيَّة من الحزن . ثم انها رفعت رأسها وتطلَّعت فشاهدت على الطريق وراء الاسوار امرأة فقيرة تحمل طفلًا لها صغيرًا وكانت المرأة وطفلها لابسين أخلاقًا من الثياب غير انها كانت مع هذا كله تضحك مسرورةً لولدها وولدها يداعبها ويتدلَّل عليها محبورًا بها . وحينئذٍ اغلقت راحيل شبَّاك حجرتها وتولت من قصرها ذاهبةً الى حيث رأت المرأة وولدها فخاطبتها قائلة :

من اين انت ايتها المرأة فاني اراكِ فقيرة شقيَّة

— كلَّا ايتها السيدة الشريفة اني بحمد الله سعيدة وفي عمري ما حسدت احدًا على راحة او غنى . وعندي ولدي هذا فهو كفايتي وسعادتي

— لماذا اذًا تجلسين وحدكِ تحت هذه الشجرة ولا تدخلين الى المدينة او بالاقل تقتربين من هؤلاء الحصَّادين الذين يترنمون بالاغاني المفرحة

فارتها المرأة حينئذٍ اطمارها ثم اجابتها بلطافة وعذوبة قائلةً :

ولماذا أعان شقائي لمن يجلسون الثنى ويفتكرون بالثروة . لا يصلح ان يكون مقامي الَّا بين هذه الاشجار الوضيعة والطيور الوَحِلة . وحضرتك اعلم الناس ان الشقي يتوارى تحت ظلّ يستره وبالكد يجسر على ان يمدّ يدهُ بينما ان اصحاب الثروة يجولون ايَّان شاؤوا . وارى ان سعادتي هي في ان انظر الى سعادة الآخرين . وهذه معظم عزائي وسلواي

— ولكن ألا تحزنين من مقابلة شقائك بسعادة غيرك ؟ الا ينجرح قلبك من الفقر الذي هو اعظم البلايا عندما ترين الكثيرين رافلين بملابس الغنى مائسين بثياب الكرامة والثروة

— كلَّا ثمَّ كلَّا بل ان عندي لتجربة الجد علاجين لاني انظر الى البلايا التي لم

أُصب بها فاشكر الله على نجاتي منها وبعد ذلك افتكر في الخيرات الباقية لي. ثم انها حدّقت البصر في ولدها وهمست بصوت خفي قائلة: « ألا انّ الباقي لي ما هو ألا تر يسير »

— وهل تكفي هذه الافكار لتعزيتك

— ان هذه الافكار توليني في الغالب تعزية فان لم تقرّ على ذلك استعمل علاجاً آخر اي الانشراح والبشاشة

— وكيف تتكلّفين الانشراح في حالتك التعزية ؟

— ثقي بصدق كلامي لانهُ اي فائدة اجتنيها من رؤية الاشياء بلون اسود فاحم. واذا كان بعض الناس يقنطون ويتصورون المستقبل قاتماً مظلماً بالمصائب والرزايا التي يتحمّلون سلفاً مرارتها فانا بقادرة على ان اعمل عملهم الذي يفني الجسم ويضعف العقل ولكني اترجى الخير دائماً ولا ارى في المستقبل غير السعادة وهذه هي الطريقة التي انتهجتها لاحتمي بها من المصائب والنكبات واذا كان الصبر على غِيَر الدهر افضل الوسائل لتخفيف شدتها وثقل وطأتها فاعلمي ان الانشراح والجذل عند إلمامها هو بمثابة الارتفاع عليها

واذ كانت راحيل تمسح الدموع التي بلّلت عينيها انت الفقيرة كلامها قائلة: « وانا كذلك قد طالما بكيت امّا الآن فما عدت اعرف البكاء لان منظر ولدي أنساني الدموع. على ان كثيراً من الامهات حُرمن مثل هذه التعزية فالافتكار في شقائهن يمنعني من التأمل طويلاً في نحس طالعي لانهُ لا شيء مثل الشفقة والتأثر لمصائب الآخرين يقوّي المرء على احتمال ما يحلّ بهِ من الرزايا

فلمّا سمعت راحيل هذه الحكم اخذت تتأمل في معناها وبعد ان نفحت الفقيرة ببعض النقود إعانة لها على تحسين حالتها قالت لها: « لشكرك كل الشكر على هذا الكلام المسجدي » وخطر لها في الوقت نفسهِ ان تسأل تلك الفقيرة عن نسبها لانها رأتها ممتلئة من الحكمة بالرغم عمّا لحق بها من الرزايا والمحن وكانت تعتقد بعدما سمعت من كلامها انها ليست مرأة اعتيادية. غير ان ما طُبعت عليهِ راحيل من الرصانة والوقار صدّها عن استفهامها عمّا كانت راغبةً في علمهِ ولم تشأ ان تفتح لتلك الغريبة جراحاً قد اندملت. ثم افتكرت في كلام الفقيرة من انها كانت سعيدة وتجهل الحسد الذي هو في

الغالب رفيق الشقاء والضيق فقالت في نفسها يا لله كم تستر الاخلاق من نفوس ابية وكم بين الفقراء من قوم يفضاوننا كثيرًا نحن الذين قلما نتنازل للالتفات اليهم »

وعادت بعد ذلك الى القصر ولمَّا وصلت الى تحت الاشجار الغبراء التي في الحديقة ضاعفت الطيور تغاريدها كانها تستقبل بالحان الانتصار هذه القرينة الحزينة

وبعد ان جلست على حافة فسقيَّة من المرمر اخذت تقول بصوت خفي: « فلنمسح نكباتنا مقابل نكبات الاخرين ولنكفف النحيب والشهيق بازاء نحيب الغير وشهيقهم. ألا يا فضيلة الشفقة المقدَّسة اعينيني على ان انسى اوجاعي حتى لا افتكر الا باوجاع الغير »

ثم انها انتزعت من اصبعها خاتمًا من الذهب مرصَّعًا بالالماس وقالت: « اذهبي عني يا تذكاراتي العزيزة. تبدَّدي من وجه العزيمة التي صممتُ على انجازها. اذهبي وخلِّفي شقاء الذين كانت كبرياني تمنعني من النظر اليهم والتفطن لنكباتهم. بيني عني حتى لا تسترخي هذه النفس التي أريد ان تكون قويَّة وصبورًا على كبار المحن البشريَّة فلتضمحل المحبة بازاء الشفقة ولتهتمَّ نفسي بتعزية الغير وتضميد جراحهم بدلًا من ان تتشاغل دائمًا في سبر غور كلومها الباطنيَّة

مطبوعات شرقية جديدة

سلَّم العبادة

استخرجهُ من اللغة الفرنسيَّة القس رافائيل جبري السرياني

طُبع في المطبعة الشرقيَّة في المدرسة سنة ١٩٠١ (ص ٢٧٦ بقطع صغير)

تحفنا حضرة الاب الفاضل القس رافائيل جبري بهذا الكتاب التقويّ الذي يتضمَّن عدَّة صلوات وتأملات ورياضات مقتطفة من كتب آباء الكنيسة ومعلِّمي السيرة الروحيَّة. وهو يقسم الى ثلاثة اقسام فالقسم الاول يشتمل على تأملات في آلام السيد المسيح وسرّ قربانهِ الاقدس. والقسم الثاني يختصّ بالتعبد للبتول الطاهرة مريم ام الله. اما مدار القسم الثالث فعلى رياضات شتى وصلوات متنوّعة يليها مناجيات وعواطف اكثرها للقديس الجليل مار اوغسطينوس. فنشكر لحضرة المؤلف همتهُ اذ قرَّب لفهم